لقاء على الشاطئ

تأليف

أحمد حسن سعد

نشر وتوزيع
مكتبة أحمد حسن سعد
بمصر الجديدة - محطة كلية البنات
٩ شارع أحمد تيسير . ت ٨٣٢٦٣٤

.. كان هذا الشاطىء فى الأمس القريب شاطىء أحلامى .. قضيت فوق رماله أجمل أيامى . فكم من قصور شيدتها بيداى الصغيرتين أثناء اللعب برماله الناعمة مع أصدقاء الطفولة .. لقد كنا نتنافس على بناء قصور من الرمال ثم نصل بينها بطرقات وجسور تخطها وتقيمها أيادينا الصغيرة برمال ذلك الشاطىء الجميل ، وكان بعضنا يقوم بعمل تماثيل من الرمال بوحى فن فطرى طفولى صادق لم تزيفه وتضيع جماله مدارس الفن المختلفة التى تـكبل الفن وتشوهه . . وياليت تلك القطع الفنية من التماثيل والقصور الرملية ـ قد بقيت حتى الآن لتـكون نموذجا لذلك الفن الفطرى الصادق ـ ولـكن أيادينا الصغيرة كانت تحركها شقاوة طفولتنا وتجعلها تتسابق فى هدم ماأقمنا من قصور وتماثيل . كما أن أمواج البحر كانت تهاجم تماثيلنا وقصورنا الرملية فتدمرها تماما كما دمرت مدافع وطائرات الأعداء قصور ومبانى مدينتى الخالدة « بور سعيد » . . وها أنا ذا أقف الآن فى خندق فى أحد المواقع على الشاطىء مع زميلاتى وزملائى

الفدائيين إنتظاراً ليوم التحرير لنعبر القناة ، ونطهر كل شبر من أرضنا من هؤلاء الاعــداء ، ونعيد بناء مدينتنا الخالدة «بور سعيد» ، فيرجع هذا الشاطىء من جديد شاطىء الاحلام. بعد أن أصبح الشاطىء الحزين الصاخب الذى تملأ أرجاؤه زئير مدافعنا وأزيز طائراتنا وأصوات دانات مدافع أعدائنا وهى تسقط بعيدة عن مواقعنا لعدم دقة التصويب .

. . لقد عشت طفولتى وصباى وشبابى على رمال هــذا الشاطىء ، وتعلمت أول دروس السباحة فى مياهه الصافية المنعشة وكم تمتع جسدى بدفىء شمسه الساطعة حتى ترعرع وأصبح فاتناً يبهر بجماله وسحره كل من وقعت عليه عيناه . . أنه جمال إكتسب سحره من سحر طبيعة ذلك الشاطىء الساحر الجميل . . ذلك الشاطىء الذى كسا الفتاة والمرأة البورسعيدية بسحره وجماله حتى عرفت بسحرها وفتنتها وجمالها ، كما عرفت بجرأتها وشجاعتها وإقدامها عندما يدعوها الوطن للجهاد . فقد وقفت وقفتها البطولية إلى جوار أخيها الشاب البورسعيدى سنة ألف وتسعمائة وست وخمسين : فتقهقر الاعداء وكتب لبور سعيد النصر والخلود . . وها هى الآن الفتاة البورسعيدية - بل كل

فتاة مصرية - بل كل فتاة عربية تقف وقفة بطولية إلى جوار الرجال بعد حرب سنة ألف وتسعمائة وسبع وستون . لتطهير كل شبر من الأراضى العربية من الصهيونيين ومن يقف خلفهم من دول إستعمارية . . . . أن المواقع الأمامية على الشاطىء مليئة بالكثير من الفدائيات يقفن إلى جوار زملائهن الفدائيين إنتظاراً ليوم تحرير وتطهير البلاد من أعداء البلاد . . . فأنا

لست الفدائية الوحيدة فى المواقع الامامية ، فهناك العشرات بل المئات والألوف من بنات جنسى يعملن بجد وإخلاص وقد تعودن على حياة المواقع ، والإقامة فى الخنادق بين قصف المدافع وزئيرها ، وقنابل الطائرات وأزيزها .

. . إننى أكتب الآن مذكراتى - أو قصة حياتى - وأنا جالسة فى الخندق الأمامى على الشاطىء - حيث أرى أمامى مواقع الأعداء على الضفة الغربية للقناة . وقد دمرت معظمها بقذائف طائراتنا ودانات مدافعنا فى حرب الاستنزاف التى نشنها على الأعداء - تمهيداً لمرحلة التحرير بإذن الله .

إننى أمسك الآن بقلمى بينما سلاحى معلق على كتفى ليحل

محل القلم فى أية لحظة — وكلاهما سلاح فتاك جندته لمحاربة الأعداء .

* * *

.. إن هذا الشاطىء الجميل الحزين أدين له بكل ماتعلمت .. فالعبث واللعب برماله تعلمت أول دروس الفن ، وفى أحضان مياهه وأمواجه تعلمت أول دروس السباحة وكرة الماء ، وعلى الرمال الناعمة لذلك الشاطىء الجميل تعلمت كرة المضرب والكرة الطائرة وأيضا كرة القدم كما تعلمت ركوب الدراجات حيث كنا نسير بالدراجات على حافة الشاطىء ، وكنا نفرح كلما هاجمت الأمواج إطارات دراجاتنا ، ونظل نتابع السير بدراجاتنا فوق رمال الشاطىء الجميل حتى الغروب لنظفر بمشاهدة الشمس أثناء غروبها وهى تبتعد عنها إلى أن تختفى بعيداً جداً وترتمى بين أحضان أمواج مياه شاطئنا الجميل .

وتحت الشماسى وفوق الرمال الناعمة لذلك الشاطىء الجميل تعلمت لعبة الطاولة والدومينو والشطرنج . كما تعلمت معظم ألعاب التسلية التى تستخدم فيها أوراق اللعب .

.. وحين كبرت بدأت ورود شـــبابي تتفتح لترى وتعي وتفهم وتجرب أشياءاً لم تعرفها ولم تجربها من قبل .. وبدأت أتعلم عـــلى شاطىء الاحلام وقت الغروب مع حبي الأول والأخير أول دروس الحب .

* * *

.. لقد كان حبنا فى بادىء الأمر حبا عذريا شريفا .. فإن مجدى حبى الأول والأخير كان رفيق طفولتى وصباى وشبابى. لقد كنا جيرانا فى البيت، كما كنا متجاورين فى مقعد واحد فى روضة الأطفال وكذا فى المدرسة الإبتدائية. .وحين انتقلنا إلى المدرسة الإعدادية فرق بيننا وزير التربية والتعليم، فدخل مجدى مدرسة البنين بينما دخلت مدرسة أخرى لاتحوى بين جدرانها إلا بنات جنسى، ولكننى بالاشتراك مع حبيبى مجدى خالفنا تعليمات وزير التربية، ولم تمكنه من أن يفرق بين القلبين الصغيرين - فكنا نلتقى بعد الظهر على شاطىء الأحلام مع رفاق الطفولة ثم رفاق الصبا ثم رفاق الشباب حين إنتقلنا إلى المدرسة الثانوية . وكان مجدى فى جميع مراحل حياتنا يخصنى باهتمامه، كما كنت أخصه باهتمامى . وأصبح كل منا لا يستطيع أن يمر يوم دون أن يرى الآخر .

* * *

.. مرت الأيام .. وشاهد شاطىء الأحلام أروع قصة

حب عذرى شريف جمعت بين قلبين ينبضان بحب فطرى عذرى مقدس لأول مرة .. ثم .. ثم جاء يوم لم يحسب له حساب .

.. لقد حضر إلى مجدى ، والتقينا على رمال شاطىء الأحلام — ولكن مجدى فى الأحلام . كان على غير مايرام .. فإنه كان حزينا مكتئبا على غير عادته ، ولم نتمشى على شاطىء الأحلام كعادتنا — بل إفترشنا رمال الشاطىء كى نتحدث ، فإن مجدى قال لى : — تعالى ياسهام لنتكلم لأنه ليس لدينا وقت للمشى ولأن لدى خبراً مؤلما أريد أن أخبرك به .

— ماذا تقول يامجدى . طمئنى بسرعة وخبرنى ماذا حدث ؟ فقال مجدى بصوت خافت حزين — بينما الدموع تتساقط من عينيه ، وكانت الكلمات تخرج من بين شفتيه بطيئة متثاقلة متقطعة ممتزجة بنحيب بكائه وهو يقول : انتهى كل شىء ياسهام .. ولن نلتقى بعد اليوم ...

— ماذا تقول يامجدى . ؟!

— لقد باع والدى الفندق الذى يملكه فى بورسعيد .. وغداً سوف نسافر إلى القاهرة لأنه سيقيم فندقا وكافتيريا كبيرة هناك ، وسوف نقيم بالقاهرة بصفة مستديمة .

— هذا غير معقول ؟ !

قلت هذه العبارة وأنا أرتمى بين أحضانه وكنت أبكى بكاء حاراً من شدة الصدمة — إننى لم أكن أتصور أننا سنحرم من لقائنا الممتع كل ليلة على شاطىء الأحلام .

. . واحتوانى مجدى بين زراعيه ، وتلاصق وجهينا ، وسالت دموعنا على خدينا ، وامتزجت الدموع ، والتقت شفتانا ، وذقنا طعم أول قبلة فى حياتنا وأنا فى أحضانه نفترش رمال شاطىء الأحلام ، وكانت قبلة طويلة أنستنا همومنا وأحزاننا ، وأنستنا كل ماحولنا ، فكان لها فعـــل السحر فى أجسادنا حتى أننا نسينا مشاهدة المنظر الجميل الذى تعودنا مشاهدته كل غروب الشمس وهى تذهب بعيداً لتحتضن أمواج البحر . . فقد كنت بين أحضانه ، كما كانت شفتاى بين أحضان شفتيه فى قبلتنا الساحرة . ولم نستيقظ من ذلك الحلم الساحر إلا على ظهور ضوء ساحر . . إنه ضوء القمر وقد اكتمل نوره . فقد كنا فى منتصف الشهر العربى . وتسرب الضوء إلينا من بين أغصان الشجرة التى كنا ننام تحتها فى حلم جميل على شاطىء الأحلام، فنهضت مذعورة ، وابتسم مجدى وهو ينظر لى وراح ينشدنى

مقطوعة من الشعر الغنائى إستوحاها من جلستنا الشاعرية على شاطىء الأحلام . فقال : ــ

ما بين غصون الشجر وتحت ضوء القمر
يحلى سماك السمر يا حبيبى يا قمـــر

يا قمر ده إنت القمر مش هوه اللى فوق الشجر
إسمك فى قلبى إتحفر يا حبيبتى يـــا قمر

غار القمر منك لمـــا رأى حسنك
عرف القمر إنك يا قمر ده إنت القمر

.. ولم أستطع أن أخفى إعجابى بذلك الشعر الغنائى الرائع، ووعدته أن أحفظ تلك المقطوعة عن ظهر قلب ، كما وعدته بأن أظل وفية مها بعد عنى ، ومهما طال الزمن .

.. وصنت وعدى وعهدى . فإنى ما أزال أحفظ تلك المقطوعة من الشعر الغنائى الجميل حتى الآن بدليل أنى

اسطرها فى مذكراتى أو قصتى وأنا أكتبها الآن من خندقى فى الموقع الأمامى بشاطىء بور سعيد .

. . وصنت وعدى وعهدى بالوفاء لحبنا . فقد جعلت حبى لمجدى هو الحب الأول والأخير . وصرت أعيش على ذكرى هذا الحب وعلى أمل اللقاء .

* * *

. . كنت أذهب كل يوم قبل الغروب إلى شاطىء الاحلام ، لاسبح مع أحلامى ، وأعيش لحظات بعيدة عن أى عين ترقبنى وأنا جالسة وحيدة مع ذكرياتى حتى يحين الغروب . فأشاهد الشمس وهى تذهب بعيدة عنى لترتمى بين أحضان أمواج مياه شاطىء الاحلام . فأتذكر تلك الليلة التى إرتميت فيها بين أحضان مجدى على رمال هذا الشاطىء — حين نسينا أنفسنا فى قبلة طويلة كانت القبلة الاولى بالنسبة لكل منا ثم شاء القدر أن يفرق بيننا سنوات . . حرمت خلالهـــا من رؤية مجدى ، ومن لقائى معه على الشاطىء كل ليلة . . رغم أنى لم أتخلف ليلة واحدة عن الذهاب إلى مكاننا المختار فى شاطىء الاحلام ، وكنت أعرف تمام المعرفة أنه لن يجىء — فهو يعيش فى القاهرة بعد أن ترك بورسعيد . . ولكن ذهابى لشاطىء الاحلام كل ليلة كان نوعاً من الوفاء لحبى الاول والاخير ، وتجديدا لذكرى ذلك الحب المقدس . وكأن زيارتى

لشاطىء الأحلام كل ليلة أصبحت صلاة مقدسة يجب المحافظة عليها . . ولست أستحى الآن وأنا أسجل إعترافى فى مذكراتى بأن هناك سبباً آخراً كان يدفعنى كل ليلة للذهاب إلى شاطىء الأحلام . . ذلك السبب هو الأمل فى أن يحن مجدى لحبنا ، ويحج إلى مكاننا المختار على شاطىء الأحلام ، فيجدنى فى إنتظاره ، ويكون اللقاء بيننا حاراً ساخنـــاً على شاطىء الأحلام .

* * *

. . كانت تلك الخواطر أحلام يقظة ، فإن مجدى لم يحضر للقائى بل كدت أظن أكثر من مرة أنه قد نسى حبنا .

ـــ ولكنى كنت أعود فى الحال لأعاتب نفسى لمجرد الشك فى إخلاص مجدى لحبنا ، وكنت أنظر إلى سطح الماء الصافى فأحسبه مرآة ، وأرى صورة مجدى وقد ملأت تلك المرآة الكبيرة ، فإن مجدى فى أحلامى كبير جداً فى نظرى كبر هذا البحر الذى لا أرى له نهاية . . وأظل أناجى صورة مجدى فى

تلك المرآة الكبيرة التى لاحدود لها ، وأطلب الصفح من تلك الصورة لأنى سمحت لنفسى مجرد الشك فى صدق إخلاص صاحبها لحبنا .... ولكن سرعان مايثور البحر ، وتظهر أمواجه المتلاطمة وكأنها تلطم وجه فتى أحلامى لتقول له إنك تخدع المسكينة الساذجة فى حبها . . وتختفى الصورة من فوق سطح الماء المزمجر الذى هشمت أمواجه المرآة الكبيرة إلى قطع صغيرة معتمة أخفت صورة فتى أحلامى . . ويستمر البحر فى هياجه، وتشتد أمواجه وتقترب منى حيث أجلس على شاطىء الأحلام - بل الشاطىء الحزين — وأحس بأن أمواج البحر الغاضبة تقول لى : (عودى أيتها المخدوعة فى حبها إلى منزلك فإن فتى أحلامك لايحس بك فقد إنشغل بغيرك) .

... فأقوم من مكانى باكية على ضياع أجمل ليالى العمر التى قضيتها على شاطىء الأحلام والتى أصبحت مجرد ذكرى ، وأصبح الأمل يكاد ينعدم فى تكرارها .

* **

وكنت أصل إلى البيت حزينة شاردة ، فأجد إخوتى الصغار

يذاكرون دروسهم ، بينما يجلس والداى فى أشد حالات القلق والحزن لغيابى خارج المنزل فى ذلك الوقت المتأخر ، ويحاولان أكثر من مرة أن يعرفا سبب غيابى وسبب حزنى واكتئابى ولكنى لا أجرؤ أن أبوح لهما بالحقيقة — فيزداد غضبهما وحزنهما وقلقهما على حالتى .

***

. . بدأ والدى يشك فى تصرفاتى ولكنه كان حكيما ولم يبح لى بما يدور فى تفكيره ، واضطر أحيانا إلى غلق متاجره ليراقب تحركاتى خارج المنزل خصوصاً عندما تغيب الشمس ، وكان يتتبعنى كل ليلة وأنا ذاهبة إلى شاطىء الاحلام وهو فى أشد الشوق لمعرفة ذلك الذى تجاسر وحدد معى موعداً للقاء ولكنه كان يعود كل ليلة خائب الرجاء لانه لم ير أحداً قد قابلنى ، ويدخل البيت بعد وصولى مباشرة وهو فى ضيق ممتزج بالسرور ..إنه فى ضيق لانه لم يعرف سبب ترددى على الشاطىء كل ليلة وسبب حزنى واكتئابى ، وهل هناك من يشغل تفكيرى وتخلف عن حضور موعدى ؟! . . لكنه كان مسروراً فى نفس الوقت لانه لم ير إنحرافا منى ، ولم تقع عيناه على ابنته فى لقاء لها مع أحد الشبان . ولذا لم يفاتحنى فى موضوع ترددى على الشاطىء كل ليلة ، وأخفى عنى معرفته لهذا الموضوع . ورغم أنى لمحته أكثر من مرة وهو يتتبعنى ـ لكنى أخفيت أنا الأخرى عنه

معرفتى بتتبعه لى أثناء ذهابى إلى شاطىء الأحلام كل ليلة . .
لقد أخفيت عنه معرفتى وتأكدى من مراقبته لى أثناء ذهابى للشاطىء لسببين :

أولهما ألا يظن بأنى شعرت بمراقبته لتحركاتى منذ الليلة الأولى ولذا إتفقت مع صديقى على عدم الحضور عدة ليال متتاليات لتضليل والدى حتى يكف عن مراقبتى فيخلو لنا الجو بعد ذلك .

والسبب الثانى وهو الأهم ـ هو أن يعتقد بأنى مصابة بحالة نفسية فلا يمنعنى من ترددى على شاطىء الأحلام كل ليلة حتى لا تزداد حالتى النفسية سوءاً . . وبهذه الحيلة أمكننى أن أظل وفية ومخلصة لحبى الأول والأخير ، وألا أتخلف ليلة واحدة عن الذهاب إلى شاطىء الأحلام ، وكان كل أملى أن يفكر مجدى ليلة فى الحضور إلى الشاطىء فأنعم بلقائه ـ ولكن يبدو أن حبيب القلب قد طبق الحكمة القائلة « إن البعيد عن اليد بعيد عن القلب » . . علماً بأنى لا أؤمن بهذه الحكمة . والدليل على ذلك أن مجدى بعيد عن يدى . فهو هناك بالقاهرة ـ ومع ذلك فهو

قريب إلى قلبي . . بل إنه قد صار داخل القلب وليس قريبا منه فقط بعد أن صار بعيداً عن اليد .

* * *

• كنت سعيدة بأن والداى لايمانعان فى ترددى على شاطىء الاحلام كل ليلة - وإن كنت قد بدأت أشعر بالضيق لانهما أصبحا يترددان بى على عيادات الاطباء النفسانيين الذين كانوا يضايقوننى بأسئلتهم الكثيرة المحرجة - ولكنى إحتملت كل ذلك فى سبيل الوفاء لحبى الاول والاخير .

.. قامت معركة سنة ألف وتسعمائة وسبع وستين ، واستطاع العدو الصهيونى بمساعدة الدول الاستعمارية أن يحتل غدراً وأجزاء عزيزة من الوطن العربى — منها شبه جزيرة سيناء ، وصار العدو الصهيونى يرابض على الضفة الغربية للقناة ، ورفض الشعب المصرى وجميع الشعوب العربية الاستسلام للعدو الصهيونى ومن يقف خلفه من الدول الاستعمارية، وأعاد الجيش المصرى والجيوش العربية تنظيم القوات وتدريبها ، ودخلت الجيوش العربية فى حرب إستنزاف لقوات العدو تمهيداً لمرحلة تحرير كل شبر من أرض الوطن العربى ، وبدأ الجيش المصرى يهلك قوات العدو ، ويدمر مواقعه وحصونه الممتدة على طول الضفة الغربية للقناة ، وكذلك فعلت باقى دول المواجهة للعدو الإسرائيلى ، كما قام رجال المقاومة الفلسطينية بدور كبير فى إلحاق أضرار بالغة بالعدو داخل الأرض المحتلة جعلته يعيش فى رعب وقلق نفسى من المصير الذى ينتظره ، وجعلت العدو يفقد السيطرة على أعصابه. ويضرب الأهالى المدنيين العزل من السلاح فى مدن القناة . وهاجرت النساء

والأطفال والعجائز من أهالى مدن القناة إلى القاهرة والمدن الأخرى — بينما تطوع الشباب والرجال من أهالى تلك المدن كفدائيين يعملون جنباً إلى جنب مع قوات الجيش النظامية على الضفة الشرقية للقناة لحماية أرض الوطن ، والاستعداد لتطهير وتحرير الأراضى العربية المحتلة .

* * *

• • وكانت أسرتى ضمن الاسر التى هاجرت إلى القاهرة ، ونقل والدى إلى القاهرة بضائع محلاته التجارية ، وباعها لبعض زملائه من التجار ، واشترى لنا شقتين من شقق التمليك بإحدى العمارات السكنية بالقاهرة ، واشترى بباقى المبلغ أثاثا لتأثيث الشقتين كى نسكن إحداها ، ونؤجر الاخرى مفروشة لنعيش من إيجارها ، وبعد أن إنتهى والدى من هذه المهمة ، تركنا بالقاهرة ، وسافر إلى بور سعيد ليتطوع فى كتائب الفدائيين بعد أن إطمأن علينا ، ومنذ سفره إنقطعت أخباره عنا .

* * *

• • عشت فى القاهرة مع والدتى وإخوتى الصغار من الدخل

الذى تدره الشقة المفروشة المجاورة لشقتنا ، ورغم أنى كنت حزينة لترك « بور سعيد » بلدتى ومسقط رأسى وأيضاً للنكبة التى حلت ببلدى — إلا أنى اعترف بأننى كنت أحس ببعض الراحة لأنى أصبحت أقيم بالقاهرة بالقرب من مجدى حبى الأول والأخير .

. . وصرت أتقصى الأخبار عن مجدى ، وعلمت أن الملهى والفندق اللذين يملكهما والده قد نجحا نجاحا كبيراً ، وصارا من ملاهى وفنادق الدرجة الأولى ، وحاولت الاتصال به تليفونيا لكنه كان يتهرب منى ، وأرسلت له عدة رسائل وما من رد يصلنى . ولكنى لم أيأس ، وتوجهت إلى الملهى الذى يملكه والده ، وما أن رأيته حتى هرعت لألقاه بحرارة ـ ولكن درجة حرارة لقائه لى كانت منخفضة للغاية ، وأحسست بأنه أصيب بهبوط فى الحب ، وكدت أتركه وأرحل بعيدة عنه لكن حبى المقدس كان يمنعنى عن ذلك ، وكنت أعذره لأنه يقضى معظم وقته فى فندق وملهى والده حيث الكثير من الفتيات الفاتنات العابثات ، وتحملت هبوط درجة حرارة لقائه لى عسى

أن ترتفع درجة حرارة حبه لى فى الأيام المقبلة بعد أن أصبحت قريبة منه .

* * *

. . وقد صح ما توقعت ، فقد زاد إهتمامه بى ، وعاد حبه لى — ولكنه كان حباً من لون جديد . . . . لقد نسى مجدى حبنا العذرى الشريف الطاهر ، وعاد لى بحب جنسى شهوانى عابث . . . . لقد تعلم مجدى على أيدى فتيات الليل بملهى والده تلك الشهوات الجنسية التى يسميها البعض حباً وهى لاتنتمى إلى الحب بشىء . . وإحتملت مجدى لأنى كنت أحبه . . واعترف الآن فى مذكراتى بأنى رضخت لبعض رغباته — ولكن حين أحسست بأنه قد تمادى فى طلباته ورغباته — لم أرضخ لرغباته ونزواته ، وطلبت منه أن يتوب عن تلك الخطايا ، وينسى تلك الرغبات الماجنة التى يدعى أنها تعبير عن حبه الصادق وما هى إلا رغبات ونزوات طائشة ، وأعطيته درساً فى الأخلاق ، وذكرته بحبنا العذرى الشريف على شاطىء الأحلام . . ذلك الحب الذى يجب أن يظل عفيفا

طاهراً لا تدنسه النزوات حتى يتوج بالزواج . لكنه سخر من كلامى ، وادعى أن آرائى فى الحب ما هى إلا آراء صبيانية لم تنضج بعد — فتركته وإنصرفت حتى يتوب عن نزواته وشهواته ويعود مرة أخرى ليصبح مجدى ذلك الشاب المثالى فى أحلامى الذى أحببته . . وحاول مجدى بعد ذلك أن يتصل بى تليفونيا من الكافيتريا أكثر من مرة فكنت أرد عليه بأنى لن ألقاه إلا إذا عاد كما كان فى بور سعيد شابا مثاليا . . ولما يئس من لقائى إمتنع عن الاتصال بى . فبدأت أتقصى أخباره وأراقب تصرفاته إلى أن علمت بأنه ترك فندق والده فجأة إلى مكان غير معروف حتى أن والده يئس من عودته بعد أن فشل فى العثور على مكانه .

. . ومرت فترة طويلة انقطعت فيها أخبار والدى ، وأرسلنا له عدة خطابات دون أن يصلنا رد آمنه ايطمئننا عليه فى وقت كنا فى أشد الحاجة إليه . . . . فقد إنقطع مورد رزقنا الوحيد وهو الشقة المفروشة المجاورة لشقتنا التى كنا نؤجرها ، ونعيش بإيجارها ، فقد بقيت تلك الشقة خالية عدة شهور متتالية ، وأخذنا نتردد على سماسرة تأجير تلك الشقق دون أن نظفر بمستأجر لتلك الشقة ، واضطررنا إلى نشر عدة إعلانات فى الجرائد والمجلات لنحصل على مستأجر ، ولتكون الإعلانات بمثابة إنذار للوالد إذا ما تصادف وقرأ أحد الإعلانات . فيعرف أن دخلنا قد إنقطع ، فيحضر إلينافى زيارة قصيرة ليدبر لنا أمورنا . ثم يعود ليواصل عمله كفدائى متطوع . وكنت أقصد أيضا من نشر الإعلان أن يقرأه مجدى ، فيحن لى ويعود للقائى . . وظهرت الإعلانات لكن أحداً لم يتقدم الإستئجار الشقة لأن الموسم السياحى كان قد إنتهى ، كما أن عدد السائحين كان قد إنخفض نتيجة لحالة الحرب

المستمرة إستعداداً للمعركة الفاصلة .. .. ولم نظفر أيضا بحضور والدى فى زيارة قصيرة لنا — فانه لم يقرأ أى إعلان مما نشرنا فقد كان مشتركا فى ذلك الوقت فى بعض العمليات الفدائية ، ولم تمكنه ظروفه من الاضطلاع على الجرائد والمجلات . ولم أظفر أيضا بأية أخبار عن مجدى حبيب قلبى .

.. واضطررنا أن نبيع بعض منقولات الشقة المفروشة قطعة تلو الاخرى حتى أصبحت غير صالحة للتأجير ـ بل وكادت تصبح خاوية من الأثاث .

***

.. أخذت أفكر فى موقف والدتى واخوتى الصغار بعد أن انقطع دخل الاسرة ، وقررت أن أبحث عن عمل لأعاون أسرتى أثناء غياب رب الأسرة .

***

.. بدأت أبحث عن عمل مناسب دون جدوى . فإن تلك المهمة لم تكن بالأمر الهين .. فان فتاة فى مثل جمالى يطمع فيها

الكثير — لابد وأن تواجه مشاكل عديدة وهى تبحث بمفردها عن عمل شريف . . وكدت أيأس لولا أن قرأت فى الصحف إعلانا لكافتيريا وملهى يطلب مضيفات . . ووجدت شيئا يجذبنى لهذا العمل رغم أنى أعرف أنه لايخلو من مضايقات . لكنى كنت واثقة أن الفتاة التى تتمسك بشرفها والتى تتمتع بقوة الشخصية تستطيع أن تعيش بين الشياطين دون أن يلحقها أى ضرر أو أذى . . وإنى أسجل الآن وأنا أكتب مذكراتى بأن السبب الرئيسى . الذى جذبنى إلى هذا العمل دون سواه لم يكن ضخامة المرتب أو كثرة البقشيش والهبات التى يمنحها عادة رواد الكافتيريا للمضيفات .

— وإنما كان السبب الأساسى هو أن أعمل فى نفس المجال وفى نفس العمل الذى تخصص فيه مجدى فتى أحلامى . حتى أكتسب الخبرة الكافية فى مجال تخصصه فربما يعود يوما إلى ، أو يصبح شريك حياتى فأعاونه بخبرتى .

. . وحتى إذا لم أصبح شريكة حياته . . واحتاج والده إلى مضيفات للكافيتريا والملهى الذى يديره — فإنى سأكون أول من

تتقـــدمن لهذا العمل لأكون بجوار فتى أحلامى إذا عاد إلى والده .. فربما قربى منه يزيدنى قربا إلى قلبه .

***

. . إستلمت عملى كضيفة بالـكافيتريا ،وأحسست منذ اليوم الأولأن بعضرواد الكافتيريا يكاد يأكلونى بعيونهم بدلا منأن يأكلوا بأفواههم ما أقدمه من حلوى وأطعمة فاخرة ، وأحسست أنهم جاءوا ليشربوا كئوس الحب بدلا من أن يشربوا ما نقدمه إليهم من مشروبات ومثلجات . . . . وفـكرت أن أترك العمل —

ولـكنى وجدت نفسى مضطرةإلى الاستمرار فى عملى لأنى أعتبر العائل الوحيدلوالدتىوإخوتى الصغار خصوصاً بعد أنطال غياب والدى وبعد أن انقطعت أخباره ، وكنت أتحمل مرغمة مضايقات عملاء الـكافتيريا لأعود آخر الليل لأسرتى بما يكفيها من مصروفات . وشكوت أكثر من مرة لصاحب الـكافيتريا ليحمينى من تصرفات بعض العملاء لـكننى كنت أفاجأ بأنه يقف

إلى جانبهم ، ويعتذر لهم بأننى حديثة الخدمة بالكافيتريا ، وأننى بعد فترة وجيزة ، سأصبح مضيفة كريمة الضيافة إلى أبعد حد .

***

. . عشت فى الكافتيريا أصارع قطيعا من الذئاب البشرية يحميها الذئب الكبير صاحب الكافتيريا . فقد تكشفت لى نواياه الخبيثة ، فهو إنسان مستهتر عـــديم المبادىء والمثل . يضحى بكل شيء فى سبيل جمع المال حتى وأن كان عن طريق غير شريف . كما وأنه إنسان قذر له علاقات غير شريفة مع معظم مضيفات الكافتيريا ، ويمسك عليهن بعض الأخطاء اللاتى إقترفناها بتدبير وتحريض منه ليصبحن تحت رحمته فيطعنه طاعة عمياء . وقد حاول أن يوقعنى فى شراكه أكثر من مرة .

وأخذ يلقى على مسامعى أرق كلمات الغزل والحب ، ويمثل دور العاشق الولهان — لكننى كنت متيقظـــة للدور الذى يجيد تمثيله والذى قام بتمثيله أكثر من مرة مع كل مضيفة بالكافتيريا حتى يوقعها فى شراكه وتصبح فريسة له ولعملائه . .

ولم تنجح جميع محاولاته فى الإيقاع بى فى شراكه لأننى كنت أعمل بنصيحة زميلتى (نادية) التى وقعت فى شراكه وكانت تعطف على وتريد حمايتى حتى لا أنزلق ويجرفنى التيار الذى جرفها من قبل هى وباقى الزميلات ، وكنت أقص على نادية جميع أحاديث وتصرفات صاحب الكافتيريا وأعمل بنصائحها دائماً — وبذا كنت دائماً فى مأمن من الشراك التى ينصبها لى صاحب الكافتيريا حتى أنه يأس منى وصرح لى بأنه فكر أكثر من مرة فى إنهاء عملى لكن جمالى الصارخ الذى يجذب العملاء للكافتيريا هو الذى جعله يحتفظ بى ولو كتمثال جميل يعجب العملاء ويكثر عدد المترددين على الكافتيريا .

. . وكان ذلك الحديث الجارح يجعلنى أفكر فى ترك العمل لكننى إحتياجى لمرتبى لأعول والدتى وإخوتى جعلنى أنسى وأتناسى أننى أصبحت تمثالاً جميلاً بالكافتيريا وكنت أقول لنفسى وما العيب فى أن أصبح تمثالاً جميلاً مادام فى مأمن من لمس العملاء أو صاحب الكافتيريا .

.. مرت الأيام ومرت الشهور دون أن تصلنا أخبار عن والدى حتى يئسنا وظننا أنه نال شرف الشهادة فى إحدى العمليات الفدائية . فقد كنا نعرف عنه الوطنية الصادقة والجرأة والشجاعة الفائقة .... مرت تلك الشهور من حياتى وكأنها سنوات طوال عشتها فى صراع عنيف مع نفسى .

.. كنت أذهب كل ليلة على قدماى إلى الجحيم (أقصد الكافتيريا) وأنا مضطرة فى سبيل لقمة العيش ، وكانت النيران تلسعنى وأحاول ألا تكوينى أو تحرقنى فأصبح رماداً تدوسه الاقدام . وكانت نظرات الذئاب البشرية من عملاء الكافتيريا تكاد تجردنى من ملابسى ، فهى نظرات جريئة ماجنة تريد أن تتمتع بجمالى الصارخ الذى شبهه صاحب الكافتيريا بالتمثال الجميل الذى يجذب العملاء للكافتيريا لكنى كنت حريصة على ألا تمتد يد إلى ذلك التمثال تلمسه أو تتحسسه رغم ماقدم لى من عروض ورغم حاجتى للمال ، لقد تمسكت بالشرف والكرامة مكتفية بمرتبى الضئيل وبضع قروش قليلة كان يمنحها لى بعض العملاء الشرفاء الذين يرقون لحالى دون أن يطمعوا فى جسدى .

. . وكنت كل ليلة أرى زميلاتى يعدن إلى بيوتهن بمال وفير جئن به من الحرام وهن سعيدات بما جمعن من مال — أما أنا فكنت أكثر منهن سعادة لأنى إستطعت أن أثبت قوة شخصيتى وتمسكى بشرفى بين قوم إنعدم لديهم الشرف . كما كنت سعيدة لأنى كنت أرى نظرات الاعجاب والتقدير من هؤلاء العملاء الغير شرفاء رغم أنهم لم ينالوا منى شيئاً بينما كنت أراهم ينظرون باحتقار إلى زميلاتى اللاتى كن يتهافتن عليهم ليحصلن على أكبر قدر مما تحتويه جيوبهم .

. . عشت فى ذلك الصراع . وكنت أزداد قوة وخبرة بوسائل تفادى الإنحراف ليلة بعد ليلة ، وعرفت أسرار المهنة وخباياها وكانت زميلتى نادية بمثابة الأخت الكبرى التى أجد عندها النصح دائما والتى أجدها تقف بجوارى فى كل مشكلة أو أزمة تمر بى .

. . لقد جربت نادية السقوط ، وأصبحت حطام إمرأة ، وصارت لعبة فى يد صاحب الكافتيريا يلهو بها كيفما يشاء بعد أن تعلقت بحبه ، وأصبحت تعيش على أمل الوفاء بوعوده المتكررة من الزواج منها . وكانت تحذرنى دائما من ألاعيب

صاحب الكافتيريا متظاهرة بحرصها على رغم أني كنت اعرف تماما أنها لم تكن حريصة على بقدر حرصها على ألا يفلت من يديها صاحب الكافتيريا الذى أحسست بتعلقه وإعجابه بى خصوصاً كلما تماديت فى صده والإعراض عنه .

. . ومرت الليالى تلو الليالى بما تحمله من مضايقات كنت أتغلب عليها . وكانت المضايقات تزداد عندما يحضر إلى الكافتيريا عميل جديد يقع فريسة لجمالى ويعجب بجمال جسدى ويطمع فيه فلا ينال منى سوى الصد والحرمان علاوة على درس لا ينساه مدى الحياة .

* * *

بقيت على هذا الحال إلى أن جاءت ليلة لم أعمل لها حساب ، فقد مرضت شقيقتى الصغرى ، وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية عاجلة وإلا تعرضت حياتها للخطر ، وكانت العملية تحتاج إلى مبلغ كبير لا أملك منه شيئاً ، وعشت تلك الليلة فى صراع عنيف أفكر فى طريقة لتدبير المبلغ اللازم لإجراء العملية دون جدوى . . وفى لحظة يأس وضعف وإنهيار وجدتنى أحدد موعداً

لقاء أحد العملاء بعد إنتهاء العمل آخر الليل . . كان ذلك العميل أحد الأثرياء الذين يصرفون ببزخ . وكثيرا ما كان يساومنى على شرفى نظير مئات الجنيهات والهدايا الثمينة ولكنى كنت أرفض وأعطيه درساً لا ينساه كل مرة — ولكنى إعراضى عنه كان يزيد تلهفه على رغم تهانت باقى مضيفات الكافتيريا عليه طمعا فى ماله .

. . لذا فإن الأستاذ محروس ذلك العجوز الثرى المتصابى لم يصدق أذنيه وأنا أحدد له موعداً للقاء ، وكان أثناء جلوسه فى الكافتيريا تلك الليلة يسألنى كل ساعة هل سأقابله حقيقة آخر الليل بعد إنتهاء العمل أم أننى أخدعه ، فكنت أؤكد له أننى سأفى بما وعدته به ، فتبدو عليه علامات الإرتياح والسرور الزائد متمثلا فى إبتسامة بلهاء ، ويعدنى بأنه سيضع كل ثروته تحت تصرفى .

* * *

. . فى آخر الليل بعد إنتهاء العمل فى الكافتيريا وجدت الأستاذ محروس ينتظرنى بسيارته الفاخرة ليقلنى إلى شقة خاصة أثثت بأفخر الأثاثات لملزاته وشهواته وسهراته الحمراء التى لا تنقطع حتى أصبحت لياليه كلها حمراء بينما ليالينا كانت سوداء . . . . بل أكثر من ذلك فإن بعض أيامى أيضاً كانت

سوداء لكثرة ما تخللها من مشا كل وعقبات .

* * *

. . بعد أن وصلنا الشقة عرض على الأستاذ محروس أن أشرب معه بعض كئوس الخمر ولكنني أخبرته بأنى لا أشربها، فطلب منى أن أتبعه إلى حجرة النوم ، ووجدت نفسى أتبعه وأنا شاردة واجمة وكأنى أعيش حلماً مزعجاً . وما أن دخلت الحجرة حتى أغلق بابها بالمفتاح ، وجاء ينزع عنى ثيابى ، فقاومته كما تقاوم الشاة الجزار الذى جاء يذبحها ويسيل دمائها ، فقد صحوت من غفوتى ، وتنبهت للكارثة التى ستحل بى ، وللعار الذى سيلطخ ثيابى ويجعلها قذرة للأبد ، ومهما غسلتها بمسحوق الرابسو أو الأومو أو السافو أو السوبرنيون فإنها لن ترجع ناصعة البياض كما كانت ، فإن مساحيق التنظيف على إختلاف أنواعها لن تزيل القذارة التى ستعلق بها .

. . وحاول الأستاذ محروس أن يفترسنى بالقوة ولكنى قاومته بكل شدة . وأخذت أضربه بكلتا يداى وأنا أبكى بحرقة ، وحين أحسست بأنه كاد يتغلب على أخذت استعطفه ، وقبلت يديه ، ورجوته أن يرحم ضعفى ، ويستر عرضى ، وتعجب

الأستاذ محروس من أمرى . وسألنى عن أسباب موافقته على الحضور لشقته - بل وعن سبب تلميحى له بمجرد حضوره للكافتيريا بأنى قبلت عروضه السابقة بقضاء سهرة معه فى شقته دون أن يطلب ذلك . فشرحت له قصة مرض شقيقتى الصغرى ، وحاجتى للمال اللازم للعملية التى تتوقف عليها حياتها . وهنا أحسست أن ملامح وجه الأستاذ محروس قد تغيرت وتحول من إنسان شرس مستهتر إلى إنسان طيب وديع ، ومن ذئب مفترس إلى قط وديع ، ووجدته يربت على كتفى . ويطلب منى أن أمسح دموعى ، ويخرج حافظة نقوده ليمنحنى مبلغاً كبيراً من المال . فإكتفيت بقدر منه كاف لاجراء العملية . ووعدته بأنى سأحاول أن أسدده له من مرتبى على دفعات أو دفعة واحدة عند عودة والدى من بور سعيد - لكنه أقسم بأنه لن يسترد مليما واحدا من ذلك المبلغ ، وطلب منى أن أعتبر هذا المبلغ هدية من أخ لأخته من واجبه أن يقف إلى جوارها وقت الشدة ، وأضاف بأن هذا المال وأن كان جزءاً من ثروته إلا أنه لا يملكه . . فالمال مال الله ، يهبنا إياه لنحسن التصرف فيه ، ولنساعد المحتاجين ، وتعجبت من التغيير المفاجىء الذى حل بالأستاذ محروس ، وشكرته ودعوت الله أن يهديه دائماً لفعل

الخير ، فقال لى الأستاذ محروس ، لا تشكرينى ياسهام . . فإن من واجبى أنا أن أشكرك لأنى كنت أعيش حياة بوهمية شهوانية كالحيوانات تماماً ، لقد كنت غارقا فى ملذاتى ناسيا واجبى نحو ربى ولم أفكر يوما فى أنى سأموت وألقاه ، وحين سمعت قصة شقيقتك الصغرى ، وتضحيتك من أجلها حتى لا يخطفها الموت منك . . . . حينئذ إنتابنى شعور بالخوف من لقاء الله وأنا غارق فى الذنوب ، وعرفت أن الموت حق، وأن كل إنسان لابد وأن يذوق الموت يوماً ، ولابد للانسان أن يعمل حسابا لذلك اليوم ليلقى ربه بقلب مؤمن سليم ، فشكراً لك ياسهام لأنك كنت السبب فى صحوتى من غفوتى . وإنى أعدك بأنى سأتوب على يديك . وأرجو أن يستجيب الله لدعوتك الشريفة الطاهرة بأن يهدينى دائماً لفعل الخير ، وسوف أكون لك أخاً مخلصاً ياسهام يمكنك أن تعتمدى عليه فى كل وقت » .

. . وشكرت الأستاذ محروس ، وذهبت إلى بيتى لأسرع بنقل شقيقتى إلى المستشفى لتجرى لها العملية ، وتكلل بالنجاح ، وتعود إلى بيتنا لتملأه بهجة وسعادة ، ولا يعكر صفو حياتنا سوى إنقطاع أخبار والدنا ، وغيابه عنا .

* * *

. . وأصلت كفاحى من أجل توفير لقمة العيش لوالدتى وأخواتى الصغار، وكان الأستاذ محروس يتردد بين حين وآخر على الكافتريا ليسأل عنى ، ويطمئن على حالى ، ويعرض على خدماته، فكنت أشكره وأقول له : « مستورة والحمد الله . » وكنت أرفض هداياه وما يعرضه على من مال رغم أنى كنت فعلا فى حاجة إلى المال فى بعض المرات التى عرض فيها على ماله وهداياه - ولكن كرامتى كانت تمنعنى من قبول المجاملات رغم أنى أعلم أن الأستاذ محروس كان يعرض خدماته دون مقابل .

.. فقد تغيرت طباعه وتصرفاته حتى أن مضيفات الكافتيريا صرن يتعجبن من أمره . فبعد أن كان يغازلهن ، ويدعوهن لقضاء سهرات حمراء بشقته الخاصة ، وبعد أن كان يجزل لهن العطاء - أصبح الآن يبتعد عنهن كلما تقربن إليه ، وقلت عطاياه ، وأصبحت لاتتعدى البقشيش العادى الذى يمنحه العميل العادى للمضيفة حين تقدم له المشروبات والمأكولات .

* * *

. . ومرت شهور أخرى على عملى بالكافتيريا حين حدثت مفاجأة سارة كنت قد فقدت الأمل فيها .

فعند عودتى من الكافتيريا إلى المنزل آخر الليل ، وجدت

والدى فى إنتظارى ، وارتميت بين أحضانه أقبل وجنتيه ، وسالت الدموع من عيناى ، ثم إجهشت بالبكاء وأنا أضع رأسى على كتفه ، فربت بيده اليمنى على ظهرى ، وقال : تحكمى فى عواطفك يا بنيتى ، وكونى قوية وبطلة يعتمد عليها كما كنت ، لقد أخبرتنى والدتك وأخوتك الصغار بشهامتك وتضحيتك وكفاحك من أجلهن . ويمكنك إبتداء من الغد أن تتركى عملك بالكافتيريا لتستريحى بالمنزل . ولأقوم برعايتك ورعاية باقى الأسرة . وأقوم بواجبى كرب للأسرة حتى أدبر شئونكم وأطمئن عليكم لأعود للميدان مرة أخرى أعمل مع زملائى الفدائيين » .

. . فشكرت والدى وأخبرته بأنى سأترك عملى بالكافتيريا ولكنى لن أبقى بالبيت وإنما سأتطوع للعمل مع الفدائيين . وأقف مع زملائى وزميلاتى فى خطوط النيران الأمامية على ضفة قناة السويس إستعداداً ليوم التحرير لطهر كل شبر من اراضينا العربية من العدو الصهيونى ومن يقف خلفه من دول إستعمارية . فأخبرنى والدى بأنه لا يمانعنى فى أداء الواجب الوطنى المقدس ، وأنه يحيى بطولتى وشجاعتى وشهامتى ويفخر لأنه فدائى وأنجب إبنة فدائية لا تقل عنه شجاعة ووطنية . ودعا لى بالتوفيق فى عملى الفدائى . ووعدنى بأنه سيلحق بى فى القريب العاجل بمجرد أن يدبر شئون الأسرة ، ويطمئن عليها .

* * *

. . فى صباح اليوم التالى ودعت أسرتى . وحملت حقيبتى لأتوجه للميدان ، وكان شوقى وحنينى للوصول إلى بلدتى بور سعيد لأشارك زميلاتى وزملائى الفدائيين فى أعمالهم البطولية لتحرير أرضنا الحبيبة ، وشوقى وحنينى لرؤية شـــاطىء الأحلام . . شاطىء بور سعيد الجميل وقد إنقلب إلى مواقع حربية يشغلها الفدائيون . . . كان هذا الشوق والحنين يدفعنى إلى أن أطلب من سائق السيارة أكثر من مرة أن يزيد سرعتها لأصل إلى شاطىء الأحلام . . شاطىء ذكريات حبى الأول والأخير والذى سيصبح بإذن الله شاطىء ذكريات جهادنا وكفاحنا حتى نحرز النصر .

* * *

. . وصلت بور سعيد بلدتى الحبيبة ، وأنضممت إلى مواقع الفدائيين على الشاطىء الحبيب فى مكانى المفضل حيث كنت ألتقى مع مجدى حبى الأول والأخير .

. . ودخلت غرفة العمليات لأقدم نفسي لقائد مجموعة الفدائيين التى إنضممت إليها ، وكان قائد المجموعة يجلس على الارض وحوله بعض الفدائيين ، وكان يضع أمامه خريطة لمواقع الاعداء يشرح عليها واجب كل فرد من الافراد الملتفين حوله فى العملية المكلفين بها ، وما أن رفع قائد المجموعة نظره من الخريطة لينظر إلى حتى تسمرت فى مكانى ، وذهلت من المفاجأة . فإن قائد المجموعة التى إنضممت إليها لم يكن سوى مجدى حبي الاول والاخير ، وتمالك مجدى أعصابه حتى تكون تصرفاته عادية أمام باقى افراد المجموعة . كما تمالكت أعصابى لاظهر أيضا بالمظهر العادى . وقدمت نفسى لمجدى قائد المجموعة بصفتى فدائية جديدة إنضممت إلى مجموعته . وعرفنى مجدى بالملتفين حوله من أفراد المجموعة ، وطلبت منه أن أشترك معهم فى تلك العملية لكنه أخبرنى بأن هذه العملية مكتملة الافراد ، وأننى مازلت أحتاج إلى بعض التلقين والتوجيه والتدريب وسوف يعاوننى فى ذلك لاشترك معهم فى العملية القادمة ، وهى إحدى العمليات الهامة التى سيتولى قيادتها بنفسه . . وسأل مجدى الأفراد الملتفين حوله هل لديهم آية استفسارات أو أسئلة

بخصوص العملية المكلفين بها ، فأجابوا بالنفى ، فقال لهم : « إذن توكلوا على بركة الله ، والله ينصركم ويرعاكم » .

. . وانصرف أفراد المجموعة ، وبقيت وحدى مع مجدى حبيبى وقائدى منذ اليوم ، وارتميت بين أحضانه وأنا أقول له : « إننى لا أكاد أصدق أن مجدى حبيبى قد عاد كما عرفته أول مرة فى هذا المكان شابا مثالياً كله شهامة ورجولة . . بل أصبح أقوى مما كان شهامة وجرأة وبطولة ووطنية صادقة » فقال مجدى : « أن الفضل يرجع إليك ياسهام ، فقد أعطيتنى درساً قاسيا جعلنى أفيق من غيبوبتى ومن حياة اللهو والمجون التى إنغمست فيها ، ووجدت أننى كدت أضيع ، وأنك قد ضعت منى بإبتعادك عنى ، فعدت إلى الطريق المستقيم ، وإخترت العمل الفدائى البطولى للتكفير عن ذنوبى ، ولوفاء دينى لوطنى وبلدتى بور سعيد ، ولاكتسب رضاؤك أن عدت منتصراً ، وليبقى حبنا ذكرى مقدسة إذا إستشهدت فى إحدى العمليات فأسكن الجنة وأكون مع الخالدين ، وأسكن قلبك إذا علمت بقصة بطولتى ، وأظل محتفظا به إلى أن يكون لقاؤنا فى جنات الخلد عند رب العالمين . فأنت من الشريفات الطاهرات اللاتى كتبت

لمن الخلود فى الجنة ، ثم جلس بجوارى يقص على قصته منذ ترك أسرته وتطوع مع الفدائيين إلى أن أصبح قائداً للمجموعة بعد أن قام بعدة عمليات جريئة أثبت بها جرأته وشجاعته ، ثم سألنى هل أنت راضية عنى الآن ، وهل تقبلينى شريكا لحياتك بعد أن نحقق النصر لوطننا العزيز . فأخبرته بأنى أرحب به شريكا لحياتى . وأفخر بإقتران أسمى بإسمه ، وأنى رهن إشارته فقال لى : « إذن فلنبدأ التدريب إستعداداً للعملية القادمة التى سنشترك فيها سويا ، والتى سنعلن خطوبتنا بعد نجاحها ، وسيكون يوم زفافنا هو يوم إحتفالنا بإنتصارنا على الأعداء وتحرير كل شبر من أرضنا العربية ، وكل منا مطالب الآن بإحضار دبلة الخطبة لشريك حياته على ألا يحضرها من تجار المصوغات وإنما يحضرها من إصبع أول فرد يقتله من الأعداء أثناء العملية القادمة التى سنشترك فيها سوياً . » فرحبت بذلك الإقتراح ، وإتفقت معه على أن يبدأ فى تدريبى وتلقينى المعلومات اللازمة للعملية القادمة .

* * *

. . بدأت تدريبات شاقة مضنية تحت إشراف مجدى ،

وأخذ يعطيني دروساً تتعلق بالعمل الفدائي ومعلومات عن العدو وعن العملية التي سأشترك فيها حتى قرر أنني أصبحت مستعدة للاشتراك في العملية القادمة، وأخذت أنتظر بفارغ الصبر ساعة الصفر ، وهي الساعة التي سيحددها بجدي لبدء العملية التي سنشترك فيها داخل العمق في خطوط الأعداء .

* * *

. . عادت الجماعة الأولى من العملية السابقة وكان مهمتها جمع معلومات عن العدو نحتاج إليها في العملية الهامة القادمة . والتي سيكون لي شرف الإشتراك فيها مع بجدي حتى الأول والأخير . وقد نجحت الجماعة في جمع المعلومات المطلوبة بعد أن قضوا عدة أيام بين صفوف العدو دون أن يشعر بهم .

.. فى الليلة التى حددها مجدى لنا لبدء العملية الفدائية الهامة فى العمق داخل خطوط الأعداء — التفتنا حول مجدى الذى وضع أمامه خريطة لمواقع الأعداء ، وأخذ يشرح لنا العملية ، وواجب كل منا بالتفصيل ، ثم سألنا السؤال التقليدى الذى يسأله كل قائد للأفراد المشتركين معه فى العملية : « هل لديكم آية أسئلة » فأجبنا بالنفى فقال لنا : « إذن فلنتوكل على بركة الله . وليحفظنا الله ويرعانا ويحقق لنا النصر . . وأنت ياسهام أرجو ألا تنسى المهمة الخاصة التى كلفتك بها » فأخبرته بأن هذه المهمة من المستحيل أن أنساها . فسألته زميلة عن تلك المهمة وهل فى إمكانها أن تشترك معى فى القيام بها ، فضحك مجدى وقال لها : « لا . . إنها مهمة خاصة لا يعرفها سوى سهام وهى الوحيدة التى تصلح للقيام بها ، وسوف تعرفينها ويعرفها باقى الزملاء والزميلات بعد نجاحنا فى العملية . . والآن فلنتقدم » .

* * *

.. إشتركنا فى العملية ، وكانت تجربة جريئة وجديدة

بالنسبة لى ، ومغامرة مثيرة أعيش أحداثها لأول مرة ، ولا أنكر أنى كنت هيابة للموقف عند بدء العملية — فهى العملية الأولى التى أشترك فيها ، وهى عملية تتسم بالخطورة لأنها تجرى فى العمق داخل خطوط الأعداء ، وخلف مواقعهم لنسف منطقة شئونهم الإدارية . . ولكن سرعان مازال الخوف عنى واندمجت مع زميلاتى وزملائى المشتركين فى العملية ، وتمكنت من قتل أحد أفراد العدو ، وانتزعت خاتم الخطبة من يده ، ووضعته فى جيبى ، ونجحنا فى الوصول إلى منطقة الشئون الإدارية نتيجة للمعلومات الدقيقة التى جاءت بها الجماعة الأولى فى العملية السابقة والتى شملت خريطة تفصيلية لمواقع الأعداء واستحكاماتهم وطريقة حراستهم لمنطقة شئونهم الإدارية . ونجحنا فى نسف مخازنهم ، وعدنا بعد أن تركناها مشتعلة بالنيران التى أتت على معظم ما تحتويه من مئونة ووقود وعتاد وذخيرة وورش للإصلاح . وأثناء عودتنا فتحت إحدى دوريات العدو علينا نيرانها ، فأسكتناها ، وقضينا عليها ولكن أحـــد أفراد مجموعتنا نال شرف الشهادة ، فحملنا جثته ، وعدنا بها إلى مواقعنا .

* * *

. . فى موقعنا على شاطىء الاحلام وقفت مجموعتنا حداداً على روح زميلنا الشهيد ، وإحتفلنا بدفن جثمانه فى تراب أرضنا الشريفة على شاطىء الأحلام ، وبعد أن إنتهينا من الإحتفال بمراسم دفن زميلنا الشهيد . وقف مجدى وسطنا قائلا : لقد إحتفلنا بمراسم دفن زميلنا الشهيد ، ويجب ألا يخيم الحزن بيننا . بل يجب أن نفرح للشهداء فهم فى الجنة خالدين مع الأبرار وهم المشاعل التى سنثأر لها وستضىء لنا طريق الإنتصار . . إننا سنحتفل الليلة بنجاحنا فى العملية التى إستطعنا فيها تدمير منطقة من أهم مناطق الشئون الإدارية للعدو ، كما سنحتفل بنجاح سهام فى أول عملية إشتركت فيها ، ثم نادانى مجدى ، وسألنى هل أحضرت ما كلفتك به ، فأخرجت خاتم الخطوبة وقدمته له ، فابتسم وقال للزملاء والزميلات ، ها هى سهام تقدم لى خاتم خطبتنا ، وها أنا ذا ألبسه فى إصبعى . . بعد أن إنتزعته من أصبع أول فرد من الأعداء قامت بقتله أثناء العملية . . وها أنا ذا أقدم لها خاتم خطبتنا لتضعه فى إصبعها بعد أن إنتزعته من إصبع أول فرد من الأعداء قمت بقتله أثناء

العملية ، وأخرج مجدى من جيبه خاتم الخطبة وقدمه إلى لألبسه فى إصبعى . وصفق جميع الزملاء والزميلات لتلك المفاجأة السعيدة ، وأخذت خاتم الخطبة لأضعه فى أصبعى فوجدته كبيراً فأخبرته بذلك ، فابتسم قائلا : « إنه أمر هين كنت قد فكرت فيه من قبل . . وها هى عشر خواتم للخطبة انتزعتها من أصابع عشرة من الأعداء قمت بقتلهم أثناء العملية ، ويمكنك أن تختارى خاتما منهم لإصبعك ، وهنا ضحك الجميع وصفقوا تصفيقاً حادا وجاءوا لتهنئتنا ، وقضينا الليلة نغنى ونرقص على السمسمية الأغانى والرقصات الشعبية والوطنية البور سعيدية إحتفالا بنجاح العملية ، وإعلان خطبة مجدى لى .

وفى نهاية الحفل ، وقف مجدى وشكر الجميع ، وقال لهم : « إنكم جميع مدعوون لحضور عقد قراننا بعد أن نحقق النصر الكبير ونحرر كل شبر من أراضينا العربيـــة ، ونحتفل جميعاً بعقد القران والزفاف وبالنصر الكبير للعرب على أعدائهم باذن الله » .

رقم الإيداع ٣٩٦٦ / ١٩٧٣